وان تمدنا بالهداية الى الدراية

وتعضدنا بالاعانة على الابانة

وتعصمنا من الغواية فى الرواية

وتصرفنا عن السفاهة فى الفكاهة

حتى نأمن حصائد الالسنة ونكفى

غوائل الزخرفة فلا نرد مورد مأثمة

ولا نقف موقف مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة

ولا نلجأ الى معذرة عن بادرة اللهم فحقق لنا هذه المنية وانلنا

هذه البغية ولا تضحنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا مضغة

للماضغ فقد مددنا اليك يد

المسئلة

ولهديهم متبعين وانفعنا بمحبتهم اجمعين

انك على كل شي قدير وبالاجابة جدير وبعد

فانه قد جرى ببعض اندية الادب التي ركدت

في هذا العصر ريحها وخبت مصابيحها ذكر

المقامات التي ابتدعها بديع الزمان وعلامة

همذان وعزا الى ابي الفتح الاسكندري

نشأتها والى عيسى بن هشام روايتها وكلاهما

مجهول لا يعرف ونكرة لا تتعرف فاشار

من اشارته حكم وطاعته غنم الى

ان

أنشئ مقامات أتلو فيها تلو البديع وإن

لم يدرك الظالع شأو الضليع فذاكرته بما

قيل فيمن ألف بين كلمتين ونظم بيتا أو بيتين واستقلت

من هذا المقام الذي يحار الفهم ويفرط الوهم

ويسبر غور العقل وتتبين فيه قيمة المرء ويضطر صاحبه

إلى أن يكون كحاطب ليل أو جالب رجل وخيل وقلما سلم

مكثار أو أقيل له عثار فلما لم يسعف

بالإقالة ولا أعفى من المقالة لبيت دعوته تلبية

المطيع وبذلت في مطاوعته جهد المستطيع و

فأنشأت على ما أعانيه من قريحة جامدة وفطنة

خامدة وروية ناضبة وهموم ناصبة خمسين

مقامة تحتوي على جد القول وهزله ورقيق

اللفظ وجزله وغرر البيان ودرره وملح الأدب

ونوادره إلى ما وشحتها به من الآيات ومحاسن

الكنايات ورصعته فيها من الأمثال العربية

واللطائف الأدبية والأحاجي النحوية والفتاوى

اللغوية والرسائل المبتكرة والخطب المحبرة

المبكية والأضاحيك الملهية والأراجيز

وأمليت على لسان أبي زيد السروجي وأسندت

روايته إلى الحارث بن همام البصري وما قصدت

بالإحماض فيه إلا تنشيط قارئيه وتكثير سواد طالبيه

ولم أودعه من الأشعار الأجنبية إلا بيتين

فذين أسست عليهما بنية المقامة الحلوانية

وآخرين توأمين ضمنتهما خواتم المقامة

الكرجية وما عدا ذلك فخاطري أبو عذرته و

مقتضب حلوه ومره هذا مع اعترافي

البديع سباق غايات وصاحب آيات

وأن المتصدي بعده لإنشاء مقامة ولو أوتي

بلاغة قدامة لا يغترف إلا من فضالته ولا

يسري ذلك المسري الابد الابد ولله در القائل

فلو قبل مبكاها بكيت صبابة بسعدى شفيت النفس قبل

التندم ولكن بكت قبلي فهيج لي البكا بكاها فقلت

الفضل للمتقدم وارجو ان لا اكون في هذا العذر

الذي اوردته والمورد الذي توردته كا

الباحث عن حتفه بظلفه والجادع مارن

انفه بكفه فالحق بالاخسرين اعمالا الذين

ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم

يحسنون صنعا على اني وان اغمض لي الفطن

المتغابي ودفع عني المحب المحابي لا اكاد

من عمه جاهل ازدري ومتجاهل يضع مني

لهذا الوضع وينددُ بانه من مناهي الشرع ومن

نقد الاشياء بعين المعقول وانعم النظر في مباني

الاصول نظم هذه المقامات في سلك الافادات و

سلكها مسلك الموضوعات عن العجماوات

والجمادات ولم يسمع بمن نبا سمعه عن

تلك الحكايات او اثّم رواتها في وقت من الاوقات

ثم اذا كانت الاعمال بالنيات وبها انعقاد

العقود الدينيات فاي حرج على من انشأ ملحا

للتنبيه لا للتمويه ونحا بها منحى التهذيب لا

الاكاذيب وهل هو في ذلك الا بمنزلة من انتدب

لتعليم او هدى الى صراط مستقيم

على انني راض بان احمل الهوى واخلص منه لا علي ولا ليا

وبالله اعتضد فيما اعتمد واعتصم مما يصم و

استرشد الى ما يرشد فما المفزع الا اليه ولا الاستعانة

الا به ولا التوفيق الا منه ولا الموئل الا هو عليه توكلت

واليه انيب

حدث الحارث بن همام قال لما اقتعدت غارب

الاغتراب وانأتني المتربة عن الاتراب طوحت

بي طوائح الزمن الى صنعاء اليمن فدخلتها

خاوي الوفاض بادي الانفاض لا املك

بلغة ولا اجد في جرابي مضغة فطفقت اجوب

طرقاتها مثل الهائم واجول في حوماتها

جولان الحائم وأرود في مسارح لمحاتي ومسايح

غدواتي وروحاتي كريماً أخلق له ديباجتي

وأبوح إليه بحاجتي أو أديباً تفرج رؤيته غمتي

وتروي روايته غلتي حتى أدتني خاتمة المطا

ف وهدتني فاتحة الألطاف إلى ناد رحيب محتو

على [illegible] فولجت غابة الجمع لأسبر مجلبة

[illegible] في بهرة الحلقة شخصاً شخت الخلقة

عليه أهبة السياحة وله رنة النياحة وهو

يطبع الأسجاع بجواهر لفظه ويقرع الأسماع بزواجر

وعظه وقد أحاطت به أخلاط [illegible] إحاطة

وتقصد سكونه وتابط هراوته فلما آنس الحرامي

الى هجوعه ولذات ناعمة الى ... دخل كل منهم

به في صحبة فأمهله قليلا من سنته وقال اصرف

هذا في نفقتك او فرقه على رفقتك فتفطن منهم

معضيا واثنى عليهم مثنيا وجعل يودع من يشيعه

ليعمي عليهم مهيعه ويستريب من يتبعه لكي يجهل

مربعه قال الراوي فاتبعته مواريا عنه عياني

وقفوت آثاره من حيث لا يراني حتى انتهى الى

مغارة فانساب فيها على غرارة فامهلته ريثما

خلع نعليه وغسل رجليه ثم هجمت عليه فوجدته

ولا مهنتني لي منفر نصيبه ولا استرعت في على موعد

يدش من فيش حايه ولو انصف الدهر في

حلمه لما سلك لحكما اهل النقيصة ولو انصف

الدنيا في حكمه ثم قال لي ادن فكل وان شئت

فقم وقل فالتفت الى تلميذه وقلت له عزمت

عليك بمن يستدفع به الاذى لتخبرني من ذا

فقال هذا ابو زيد السروجي سراج الغربا وتاج

الادبا فانصرفت من حيث اتيت وقضيت

العجب مما رايت

المقامة الثالثة الحلوانية اخبر الحارث ابن همام قال

كلفت مذ ميطت عني التمايم ونيطت

بي العمايم بان اغشى معان الادب والضحى

الیه رکاب الطلب ولا ملتقى منه بما یکون لی غب

الانام ومن نقب عن الاوهام وکنت لفرط اللهج باقتباسه

والتطلع الى تقمص لباسه اباحث کل من جل وقل واستسقی

الوبل والطل واتعلل بعسى ولعل فلما حللت حلوان

وقد بلوت الاخوان وسبرت الاوزان وضربت

ما شان وزان الفیت بها ابا زید السروجی یتقلب

فی قوالب الانتساب ویخبط فی اسالیب الاکتساب

فیدعی تارة انه من ال ساسان ویعتزی مرة الى

اقیال غسان ویبرز طورا فی شعار الشعراء ویلبس

حینا کبر الکبراء بید انه مع تلون حاله وتبین محاله

یتحلى برواء ورواية ومداراة ودراية وبلاغة

رائعة وبدیهة مطاوعة واداب بارعة وقدم

معاوزي الارفاق الى معاوز الفاق ونظمه في سلك

الرفاق خفوق راية الخفاق فشحن للرحلة

عن اي عزمته وظعن يقتاد القلب بازمته فما

الفني من الدني بعد بعده ولا شاقني ما يشاقني

وصاله ولا لاح لي مذ نبا بي نبا فضله ولا ذو خيل

حاله مثل خلاله واستسر عني حينا لا اعرف له

عرينا ولا اصف عنه مبينا فلما ابت من غربتي الى

منبت شعبتي حضرت دار كتبها التي هي منتدى

المتادبين وملتقى القاطنين منهم والمتغربين

فدخل ذو لحية كثة وهيئة رثة فسلم على الجلاس

وجلس في اخريات الناس ثم اخذ يبدي ما في

مُلقَى وِطَابِه وتعجّبَ الحاضرين من فضلِ خطابِه فقال

لِمَن بين يديه ما الكتابُ الذي تنظُرُ فيه فقال ديوانُ

أبي عُبادةَ المشهودُ له بالإجادةِ فقال هل عثرتَ

له فيما لمحتَهُ على بديعٍ استملحتَهُ فقال نعم قولُه

كأنّما تبسِمُ عن لؤلؤٍ منضّدٍ أو بَرَدٍ أو أقاحْ

فإنه أبدعَ في التشبيهِ المودَعِ فيه فقال يا للعجَبِ

ولضيعةِ الأدبِ لقد استسمنتَ ذا ورَمٍ

ونفختَ في غيرِ ضَرَمٍ أين أنتَ عن البيتِ

المفردِ الجامعِ مشبّهاتِ الثغرِ واستنشدَ

المقول

فيه نفسي الفدى لمبتغي راق مبسمه وزانه نسب

نا صلك من سغب كانما انبثق عن لعوبه طيب ومن

ومن اتاح عن طلوع جيب فاستجاد من حضر

واستحلاه واستعاده منه واستملاه وسئل عمن

هذا البيت وهل حي قائله ام ميت فقال ايم الله

للحق احق ان يتبع والصدق حقيق بان يستمع

انه يا قوم لنجيكم منذ اليوم قال فكأن الجماعة ارتابت

بعزوته وابت تصديق دعوته وتوجس ما

هجس في افكارهم وفطن لما بطن من استنكارهم

و

فما انا قاضون لبناهته واعترفوا بنزاهته فلما انس

رشيدا سحرهم بكلامه واقتيادهم الى شعب ازلامه

اطرق كطرفة العين ثم قال ودونكم بيتين اخرين

وانشد واقلب يعم حل البين في حلل سود يعض

بنان النادم الحصر فلاح ليل على صبح اقلهما غصن

وضرست البلور بالدر ثم استشنى القوم قيمته

واستغزروا ديمته واجملوا عشرته وصلوا فترته

قال الراوي فلما رايت تلهب جذوته وتالق

امعنت نظري في توسمه وسرحت الطرف في ميسمه

فاذا هو شيخنا السروجي وقد اقمرت ليلة الدجى

فهنات نفسي بمورده وابتدرت استلام يده

وقلت له ما الذي احال صفتك حتى جهلت معرفتك

واي شي

نا المربع وهاج المربع وأقوى المجمع وأقض

المضجع واستحالت الحال وأعول العيال وخلت

المرابط ورحم الغابط وأودى الناطق والصامت

ورثى لنا الحاسد والشامت وآل بنا الدهر الموقع

والفقر المدقع إلى أن احتذينا الوجى واغتذينا

الشجى واستبطنا الجوى وطوينا الأحشاء على

الطوى واكتحلنا السهاد واستوطنا الوهاد

واستوطأنا القتاد وتناسينا الأقتاد واستطبنا

الحين المجتاح واستبطأنا اليوم المتاح

وسَحَّ خالٌ إن رعد فنبذتُ الدينارَ إليه وقلتُ خُذْهُ

غيرَ مأسوفٍ عليه فوضعه في فيه وقال اللهمَّ

بارك فيه ثم شمّر للانثناء بعد توفية الثناء

فنشأت لي من فكاهته نشوةُ غرامٍ سهّلت

عليَّ ائتنافَ اغترامٍ فجرّدتُ دينارًا آخر وقلتُ

له هل لك في أن تذمّه ثم تضمّه فأنشد مرتجلا

وشدا عجلا تبًّا له من خادعٍ مماذقِ أصفرَ ذي وجهين كا

يبدو بوصفين لعين الرامقِ [illegible] معشوقٍ ولونِ عا

وحبُّه عند ذوي الحقائقِ يدعو إلى ارتكاب سخط الخالق

لولا

قال الحارث بن همام فناجاني قلبي بانه ابو زيد وان

تعارجه للتلبيس فاستعدته وقلت له لقد عرفت بوشيك

فاستقم في مشيك فقال ان كنت ابن همام فحييت

باكرام وحييت بين كرام فقلت انا الحارث فكيف

حالك والحوادث قال اتقلب في الحالين بوس ورخاء

وانقلب مع الريحين زعزع ورخاء فقلت له كيف

ادعيت القزل وما مثلك من هزل فاستسر بشره

الذي كان تجلى ثم انشد حين ولى تعارجت لا رغبة

ولكن لاقرع باب الفرج والقي حبلي على غاربي

واسلك مسلك من قد مزح … وان لامني القوم قل اعذروا

فليس على أعرج من حرج …

أخبر الحارث بن همام قال ظعنت إلى دمياط عام هياط

ومياط وأنا يومئذ مرموق الرخاء موموق

الإخاء أسحب مطارف الثراء وأجتلي معارف

السراء فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق وارتضعوا

أفاويق الوفاق حتى لاحوا كأسنان المشط في الاستواء

وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء وكنا مع

ذلك نسير النجاء ولا نرحل إلا كل هوجاء وإذا نز

منزلا ومرزنا منهلا اختلسنا اللبث ولم نطل المكث

فعن لنا اعمال الركاب في ليلة فتية الشباب غدافية

الاهاب فاسرينا الى ان نضا الليل شبابه وسلت

الفجر خضابه فحين مللنا من السرى وملنا الى الكرى

صادفنا ارضا مخضلة الربى معتلة الصبا فتخيرناها

مناخا للعيس ومحطا للتعريس فلما حلها الخليط

وهدأ بها الاطيط والغطيط سمعت صيتا من الرجال

يقول لسميره في النادي كيف حكم سيرتك مع جيلك وجاره

قال ارعى الجار ولو جار وابذل الوصال لمن صال

واحتمل

وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط وأود الحميم ولو جزى عني

الحميم وأفضل الشفيق على الشقيق وأفي للعشير وإن

لم يكافئ بالعشير وأستقل الجزيل للنزيل وأغمر الزميل بالجميل

وأنزل سميري منزلة أميري وأحل أنيسي محل رئيسي

أودع معارفي عوارفي وأولي مرافقي مرافقي وألين مقالي

للقالي وأديم تسآلي عن السالي وأرضى من الوفاء

باللفاء وأقنع من الجزاء بأقل الأجزاء ولا أتظلم حين

أظلم ولا أنتقم ولو لدغني الأرقم فقال له صاحبه ويك

يا بني إنما يضن بالضنين وينافس في الثمين [illegible]

رضي بخطة خسف ولله ابوك اذ يقول

جزيت من اعلق بي وده ... جزاء من يبني على اسه

وكلت للخل كما كال لي ... على وفا الكيل او بخسه

ولم اخسره وشر الورى ... من يومه اخسر من امسه

وكل من يطلب عندي جنى ... فما له الا جنى غرسه

لا ابتغي الغبن ولا انثني ... بصفقة المغبون في حسه

ولست بالموجب حقا لمن ... لا يوجب الحق على نفسه

ورب مذاق الهوى خانني ... اصدقه الود بلا لبسه

وما درى من جهله انني ... اقضي غريمي الدين من جنسه

يا مجرِ من يستغني بك مجرى القلى ومنبه كالملحود في رمسه

والبس لمن في وصله لُبسةٌ لباسَ من يرغبُ عن أُنسه

ولا ترجِّ الودَّ ممن يرى أنك محتاجٌ إلى فلسه

قال الحارث بن همام فلما وعيتُ ما دار بينهما تُقتُ إلى أن

أعرفَ عينهما فلما لاح ابنُ ذُكاء وألحفَ الجوَّ الضياء غادرتُ

قبل أن ينتقل الركاب أو اغتدى الغراب وجعلتُ أستقري

صوبَ الصوت الليلي وأتوسّمُ الوجوهَ بالنظر الجلي إلى أن

لمحتُ أبا زيد وابنه يتحادثان وعليهما بُردان رثّان فعلمتُ

أنهما نجيّا البليّة وصاحبا روايتي فقصدتُهما قصدَ كَلِف

وكان كلما نشط القوم في شوطهم ثم والعجوة ولمجوة

من نوطهم ينبري يخاذر طرفه ويتشامخ أنفه

إنهم مخرنبق لينباع ومجرنثم ليمتد الباع وينباض

يبري النبال ويرتضي النصال فلما نثلت الكنائن

وفاتت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع

أقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئا إدّا وجرتم

عن القصد جدّا وعظمتم العظام الرفات

وأفرطتم في الميل إلى من فات وغمصتم جيلكم

الذين فيهم اللدات ومعهم انعقدت

المؤلَّفات الأنسيّة ما أحجمها بالنقد وصوابه العلق والعقد

ما أوثرت به طوارق القرائح وبرزت فيه الخرع على

البارع من العبادات المهذبة والاستعارات المستعذبة

والرسائل الموشحة والأحاجي المستملحة وهل للقدما

انعم النظر من حضر غير المعاني المطروقة الموارد

أمعقولة الشوارد المأثورة عنهم لتقادم المولد

لا التقدم الصادر عن الوارد واني لاعرف الآن من

إذا أنشأ وشّى وإذا عبّر حبّر وإذا أوجز أعجز وإن

أسهب أذهب وإن بده شده ومتى اخترع

خرع

خضرع فقال له ناظورة الديوان وعين اولئك الاعيان

من فارس هذه الصفات وقريع هذه الصفاة

قال انه قرن مجالك وقرن جدالك فاذا شئت

فرش نبلا وادع مجيبا ترى عجيبا فقال له يا هذا

ان البغاث بارضنا لا يستنسر والتمييز عندنا بين

الفضة والقضة متيسر وقل من استهدف

للنضال فخلص من الداء العضال او استثار نقع

الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عن

المفاضح ولا تعرض عن نصاحة الناصح فقال

كُلُّ امرئٍ اعرفُ يومئذٍ قدحهُ ويستقري السبيلَ عن

جهةٍ فتناجتِ الجماعةُ فيما يسبرُ به قليبُهُ

ويعمدُ فيه تقليبُهُ فقالَ احدُهم ازروهُ في حقِّ

الارميةِ بحجرٍ وصّى فانّها عضلةُ العقدِ ومحكُّ

المنتقدِ فقلّدوهُ في هذا الامرِ الزعامةَ

تقليدَ الخوارجِ اباَنعامةَ فاقبلَ على الكهلِ

وقالَ اعلمْ انّ اولى هذا الولي واقبحَ حالي

بالبيانِ العالي ولنْ استعينَ على تفسيرِ

اوري في ملكي بسعةِ ذاتِ يدي مع قلّةِ

عذاري

فما انحار قولا ونبتهت فلم يبت بما ارواه الا

سنة واستعنت بقاطبة الكتاب فكل منهم

قطب وتاب فان كنت صدعت عن وصفك

باليقين فأت باية ان كنت من الصادقين

فقال له امدد استعنت يعبوبا واستقت اسلوبا

واعطيت القوس باريها وانزلت الدار بانيها

ثم فكر ريثما استجم قريحته واستدر لقحته

وقال له الق دواتك وخذ اداتك واكتب للو

ثبت الله جيش سعودك يزين واللوم غض

الكرم

يضيءُ وحلمك يغضي ونوالك يغني واعداؤ

تثني وحسامك يفني وسوددك يبني

ومواصلك يجتني ومادحك يقتني

سماحك يغيث وسماؤك تغيث ودرّك

يفيض ومن ملك شيخ كاه فني ولم يبق

له شيءٌ أملك بطن تحرضه يثب وأهلك

نخب ممورها تجب ومرامه يعف

وأواصره تشف وناظره بحتاد وبلد

تجتنب ووراءه ضفف مسته متطف

وحصهم

نشب ومداواة شجن ومراعاة يفن مولا

بخفض وسرور غض مما غمرني مسهد

غيثي وخشي وهم عبي والسلام قا

فلما فرغ من املاء رسالته وجلّى في

هيجاء البلاغة عن بسالته ارضته

الجماعة فعلا وقولا واوسعته حفاوة

وطولا ثم سئل من اي الشعوب نجاره

وفي اي الشعاب وجاره فقال غسان

اسرتي الصميمة وسروج تربتي القديمة

فاليرا

فالبيض منها الشمس اشراقا ومنهن للجسيمه

والدهم الف ... من مطيبة ومنزهة

رقيمة واها العيس كان لى فيها لذات

عميمة ايام اسحب مطرفى فى ... صها

ماضى العزيمة اختال فى برد الشباب ولحتاه

الناعم الوسيمة لا اتقى نوب الزمان و لا ...

... حه الملمة فلو ان لى يا متلفا تلفت

من ... بى لقيمة او يفتدى عيش مضى لفدت

... الكريمة فالموت خير للفتى من عيشه

عيش البهيمة تقتاده برة الصغار الى الهزيمة

والهضيمة ويرى الاباء تنزها عن الاتباع

المستضيمة والذنب للايام ولا شؤمها لم تنب

شيمة ولو انصفت كانت الاحوال فيها مستقيمة

ثم ان خبره نمي الى الوالي فملأ فاه باللآلي

وسامه ان ينضوي الى حشاشته ويلي ديوان

انشائه فاحسبه حباؤه وظلفه عن الاستماحة

الاباء قال الراوي ولئن عرفت شجرته بإيناع

ثمرته وكدت انبه على علو قدره قبل استنارة

بدره

وأذن له الروع على الانتجاع المقامة السابعة البرقعيدية

حكى الحارث بن همام قال أزمعت

الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد

فكرهت الرحلة عن تلك المدينة أو أشهد بها

يوم الزينة فلما أظل بفرضه ونفله وأجلب

بخيله ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد

وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم

جمع المصلى وانتظم وأخذ الزحام بالكظم

طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين وقد اعتم

ابتدا

قال الحارث بن همام فلما استعرضت حلّة الأبيات

تقت الى معرفة ملحمها ولم اقم على منها فناجاني

الفكر بان الوصلة اليه العجز وافتاني بان

حلوان المعرف يجوز فرصتها وهي تتقرى

الصفوف صفا صفا وتستألف الألف الفا

فما ان ينجح لها عناء ولا يرشح عابدها

فلما الذي استعطافها عادت بالاخيب

وثناها الى ارتجاع الرقاع وانساها الشيطان

ذكر معنى فلم تعج الى بعضي وآبت الى الشيخ بآلة الحرمان

فقالا

شآمية تحامل الزمن فقال انا لله وافوض امري

الى الله ولا حول ولا قوة الا بالله ثم انشد

لم يبق صاف ولا مصاف ... ولا معين ولا معين

وفي المساوي بدا التساوي ... فلا امين ولا ثمين

لهما منّي النفس وعدتها ولجمعي الرقاع

وعنّيتها فقالت لقد عذرتما الما استعذرتما

فوجدتما يد الضياع قد غالت الحذاء لرقاع

فقال تعساً لك يا لكاع المخرّم ويحك القنص والحيله

والقسر والزبالة انّما الضعف على اباك فانضا

نفض

تصعّد ... ثمّ مدّ رجعها فلمّا دانتني

رنتُ بالرقية درهمًا وقطعةً وقلتُ لها إن

رغبتِ في المكشوف المُعلَم وأشرتُ إلى الدرهم

فبوحي بالسرّ المبهم وإن أبيتِ أن تسرحي

القطعة وأسرحي فمالت إلى استخلاص

البدر التمّ والأبلج الهمّ وقالت دع جدالك

وسل عمّا بدا لك فاستطلعتها طلع الشيخ وبلدته

والشعر وناسج بردته فقالت إنّ الشيخ من أهل

سروج وهو الذي وشّى الشعر المنسوج ثمّ

خطفت الدرهم خطفة ... اشق ومرق

مروق السهم الراشق فخالجني أن أبا زيد

هو المشار إليه وتأجج لوعتي لمصابه بناظريه و

أتربت أن أفاجيه وأناجيه لأعجم عود

فراستي فيه وما ألوت لأصل إليه إلا بتخ

رب الجميع المنهي عنه في الشرع وعفت أن

يتأذى بي قوم أو يسري إلى لوم فلبثت بمكاني وجعلت

شخصه قيد عياني إلى أن انقضت الخطبة وحقت

الوثبة فخففت إليه وترسمته على التمام حذيه فإذا

المعني

بسامة بصره وعجبت من غرائب سيره ولم يلفني

قرار ولا طاوعني اصطبار حتى اتيته ما دعاك

الى التعامي مع سيرك في المعامي وجولك

في الموامي وايغالك في المرامي فتظاهر باللكنة

وتشاغل بالدهنة حتى اذا قضى وطره اتأر

الي نظره وانشد ولما تعامى الدهر وهو ابو الورى

عن الرشد في انحائه ومقاصده تعاميت حتى قيل اني اخو عمى

ولا غرو ان يحذو الفتى حذو والده ثم قال لي انهض الى المخدع

واتني بغسول يروق الطرف وينقي الكف وينعم

البشرة

البشرة ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوي المعدة وللّن

نظيف الظرف أريج العرف فتي الدق ناعم السحق يحسبه

[illegible] كحلاً ويخاله الناشق كافوراً

وقرن به خلالة نقية الأصل محبوبة الوصل

أنيقة الشكل مدعاة إلى الأكل لها نحافة الصب

وصفا العضب وآلة الحرب ولدونة الغصن

الرطب قال فنهضت فيما أمر لأدرأ عنه الغمز

ثم فهمت أنه قصد أن يخدع بإرخاء المخدع و

ظننت أنه مز من الرسول في استدعاء الخلالة و

الفسوق فلما عن لي تتبعا الملتمس في اقرب من لمح

البصر وجدت الجو قد خلا من الشيخ والشيخة

فتذكرت الجفلا فاستشطت من مكره غضباً واغذذت

في اثره طلباً فكان كمن قمس في الماء او عرج

به الى عنان السماء [illegible]

اخبر الحارث بن همام قال رايت من اعاجيب

الزمان ان تقدم خصمان الى قاضي معرة النعمان

احدهما قد ذهب منه الاطيبان والآخر

كانه قضيب البان فقال الشيخ ايد الله القاضي

كما انبأك به المتقاضي انه تملكت لي مملوكة رشيقة

القد اسيلة الخد صبور على الكد تخب احيانا كا

النهد وترقد اطوارا في المهد وتجد في تموز مس

البرد ذات عقل وعنان وحد وسنان وكف مبنا

ن وفم بلا اسنان تلدغ بلسان نضناض وترفل

في ذيل فضفاض وتجلى في سواد وبياض وتسقى

ولكن من غير حياض ناصحة خدعة خبأة

طلعة مطبوعة على المنفعة ومطواعة

في الضيق والسعة اذا قطعت وصلت ومتى

فصلتها عنك انفصلت وطال الخد منك

فجملت وربما جنت عليك فالمت واملت

وان هذا الفتى استخدمنيها الغرض فاخذه

اياها بلا عوض على ان يجتني نفعها و لا

يكلفها الا وسعها فاولج فيها متاعه ا

بها استمتاعه ثم اعادها الي وقد افضاها

وبذل عنها قيمة لا ارضاها فقال الحدث

اما الشيخ فاصدق من القطا واما الافضا

ففرط عن خطا وقد رهنته على ارش ما او

مثلوما الى من استطرفني منتسبا الى القين نقيا

من الدرن والشين يقارن محله سواد العين

يفشي الاحسان وينشي الاستحسان ويغذي

الانسان ويحامي اللسان ان سود جاد بالدر

وان زود ذا زود وهب الزاد ومتى اهتز

لا يستقر بمغنى وقلما ينكح الا مثنى يستجدى

من جوده ويسمو عند جوده وينقاد مع

قرينته وان لم تكن من طينته ويستمتع

بزينته وان لم يطمع في لينته فقال لهما القاضي

إما أن تبينا وإلا فبينا فأطرق الشيخ واستمع

فابتدر الغلام وقال أعارني إبرة لأرفو

أطماراً أعفاها البلى وسوّدها ما انخرمت

في يدي على خطاء مني لما جذبت مقودها

فلم ير الشيخ أن يسامحني بأرشها إذ رأى تأوّدها

بل قال هات إبرة تماثلها وقيمة لعوار أحدثها

وأعتاق ميلي رهناً لديه وناهيك بها سلة تزوّدها

فالعين مرهاء لرهنه ويدي تقصر عن أن تفكّه

فاسبر بذا الشرح غور مسكنتي وارث لمن لم يزل تعوّده

فأقبل

فاقبل القاضي على الشيخ وقال أبن بغير تمويه فقال

أقسم بالمشعر الحرام ومن ... ضم من الناس خيف منى

لو ساعفتني الأيام لم ترني ... مرتبطا سامه الأذى بهنا

ولا تصديت ابتغي بلغا ... من ابرة غالها واثمنا

لكن قوس الخطوب ترشقني ... بمصميات من ها هنا وهنا

فاختبر حالي الخبر حالته ... ضرا وبؤسا وغربة وضنى

قد عدل الدهر بيننا فأنا ... نظيره في الشقاء وهو أنا

لا هو يستطيع نجم مرده ... لما غدا في يدي مرتهنا

ولا المعالي تضيق ذات يدي ... فيه اتساع العفو حين جنى

فهلا تعتني وقصه فانظر الينا وبيننا ولنا

فلما وعى القاضي ما اوضحاه من قصصهما وتبين

خصامهما وكخصصهما ابرز لهما دينارا من

تحت مصلاه وقال قطعا به الخصام وانصلاه

الشيخ دون الحدث واستخلصه على وجه الجد

لا العبث وقال للحدث نصفه لي بسهم ترث

وسهم لي عن اذن ابري ولست عن الحق

اميل فقم وخذ الميل نقد الحدث لما حد

الثياب وحمد له القاضي وهيج اسفه على الد

الملا

أماضي لا أتعجب بأن الغنى وبلباله بدرتهما رضخ

بماله وقال لهما اجتنبا المعاملات وادرآ المخاصمات

وتحضران في المحالات فما عندي كيس لغرامات

فنهضا من عنده فرحين فله مفصحين بحمله

والقاضي ما يخبو جمره مذ بض حجره ولا

ينصل لماله منذ نشح جلمده حتى إذا أفاق

من غشيته أقبل على غاشيته وقال قد أشرب حسي

وتبين حدسي أنهما صاحبا دهاء لا خصما

ادعاء فكيف السبيل إلى سبرهما واستنباط سرهما

37

ار اجمع منها تد ريف الاسفار والله ... مثلها

في تصانيف الاسفار المقامة التاسعة تعرف بالاسكندرية

قال الحارث بن همام طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب

الى ان جبت ما بين فرغانة وغانة اخوض الغمار

لاجني الثمار واقتحم الاخطار لكي ادرك الاوطار

وكنت لقفت من افواه العلماء وتقفت من وصايا الحكماء

انه يلزم الاديب اذا دخل البلد الغريب ان يستميل قاضيه

ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن

في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الادب قاضية

ويستخلص

ليشتد ظهره عند الخصام ويأمن

في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الادب اماما وجعلته

لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة

الا وامتزجت بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت

بعنايته تقوي الاجساد بالارواح فبينما انا عند

حاكم الاسكندرية في عشية عرية وقد احضر مال الصدقات

ليفضه على ذوي الفاقات اذ دخل شيخ عفرية

تعتله امرأة مصبية فقالت ايد الله القاضي وادام

به التراضي اني امرأة من اكرم جرثومة واطهر

ارومة واشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون

وشيمتي الهون وخلقي نعم العون وبيني وبين

[illegible]

سلتهم وبلتهم ويعاف وصلتهم ويحقر صلتهم ويحتج

بانه عاهد الله تعالى بحلفة الا يصاهر غير ذي حرفة

فقيض القدر لنصبي ووصبي ان حضر هذا الخدعة

نادي ابي فاقسم بين رهطه انه وفق شرطه وادعى

انه طالما نظم درة الى درة فباعهما ببدرة فاغتر

ابي بزخرفة محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله

فلما استخرجني عن كناسي ورحلني عن اناسي ونقلني

الى كسره وحصلني تحت اسره وجدته قعدة جثمة

والفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزي

واثاث وري فما برح يبيعه في سوق الهضم

ويتلف

ومن ... حتى ... مالي بأسره

وأنفق مالي في عشرته فلما أنساني طيب الاحتواء

بيتي أنقى من الراحة قلت له يا هذا إنه لا مخبأ

بعد بؤس ولا عطر بعد عروس فانهض للاكتساب

بصناعتك واجتن ثمرة براعتك فزعم أن صناعته

قد رميت بالكساد لما ظهر في الأرض من الفساد

ولي منه سلالة كأنها خلالة وكلانا ما ينال

معه شبعة ولا ترقأ له من الطوى دمعة

وقد قدته إليك وأحضرته لديك لتعجم عود

دعواه وتحكم بما أراك الله فأقبل القاضي على الشيخ

وقال له قد وعيت قصص عرسك فبرهن الآن

[illegible]

طرق التشبيه طرائق الافعوان ثم تشمر للحرب العوان وقال

شعر

اسمع حديثي فانه عجب ... يضحك من شرحه وينتحب

انا امرؤ ليس في خصائصه ... عيب ولا في فخاره ريب

سروج داري التي ولدت بها ... والاصل غسان حين انتسب

وشغلي الدرس والتبحر في ال‍ ... علم وطلابي وحبذا الطلب

وراس مالي سحر الكلام الذ ... ي منه يصاغ القريض والخطب

اخوض في لجة البيان فا ... ختار اللآلي منها وانتخب

واجتني اليانع الجني من ال‍ ... قول وغيري للعود محتطب

وآخذ اللفظ فضة فاذا ... ما صغته قيل انه ذهب

وكنت من قبل امتري نشبا ... بالادب المقتنى واحتلب

ويحظى

المطلق من اسار وعزة الموسر بعد الاعسار فقال الراوي
ولكني عرفت انه ابو زيد ساعة بزغت شمسه ونزغت
عرسه وكدت عن افتنانه واثمار افنانه ثم اشفقت
من عثور القاضي على بهتانه وتزويق لسانه فلا يرى
عند عرفانه ان يرشحه لاحسانه فاحجمت عن
احجام المرتاب وطويت ذكره طي السجل للكتاب الا اني
قلت بعدما فصل ووصل الى ما وصل لو ان لنا من ينطلق
في اثره لاتانا بفص خبره وبما ينشر من حبره فاتبعه القاضي
احد امنائه وامره بالتجسس على انبائه فما لبث ان رجع
متدهدها وقهقه مقهقها فقال له القاضي مهيم

يا ا

[illegible] عجبًا وسمعت [illegible]

فقال له ماذا رأيت وما الذي وعيت فما لم يزل الشيخ

منذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد

بملء شدقيه ويقول كدت أصلى بلية من وقاح شربه

وأزور السجن لولا حاكم الاسكندرية

فضحك القاضي حتى هوت دنيته وذوت سكينته فلما

فاء الى الوقار وعقب الاستغراب بالاستغفار قال اللهم

بحرمة عبادك المقربين حرم حبسي على المتأدبين

ثم قال لذلك الأمين علي به فانطلق مجدا في طلبه

ثم عاد بعد لأي مخبرا بنأيه فقال له القاضي أما انه

لو حضر لكفي الحذر ثم لأوليته ما هو به أولى ولأريته

[illegible]

رايت صغو القاضي اليه وفوت ثمرة التنبيه عليه

ندامة الفرزدق حين ابان النوار او الكسعي لما استبان

النهار [illegible] حكى الحارث

بن همام قال هتف بي داعي الشوق الى رحبة مالك

بن طوق فلبيته ممتطيا شملة ومنتضيا عزمة

مشمعلة فلما القيت بها المراسي وشددت امراسي

وبرزت من الحمام بعد سبت راسي رايت غلاما

افرغ في قالب الجمال والبس من الحسن حلة الكمال

وقد اعتلق شيخ بردنه يدعي انه قتل ابنه

والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته والخصام بينهما

مشطاتِ التي ... بها يصبح بين الأخيار

الأشرار إلى أن تراضيا بعد اشتطاط التدرّؤ بالتنافر إلى

والي البلد وكان الوالي ممن يُزنّ بالهنات ويُغلّب

حبّ البنين على البنات فأسرعا إلى ندوته كالسليك

في عدوته فأحضر الشيخ دعواه واستدعى

عدواه فاستنطق الغلام وقد فتنه بمحاسن غرّته

وطرّ عقله بتصفيف طرّته فقال إنها لفرية أفّاك

على غير سفّاك وعضيهة محتال على من ليس بمغتال

فقال الوالي للشيخ وقال إن شهد لك عدلان

من المسلمين وإلا فاستوفِ منه اليمين فقال الشيخ إنه

جدله عمدًا وأراق دمه خاليًا فأنّى له شاهد

بالمرء مع شاهد والنوبتي ... اليمين لسنن

لك أيصدقه أم يمين فقال إنه أنت المالك لذا الجحود

المتهالك على ابنك الهالك فقال الشيخ للغلام قل والذي

زين الجباه بالطرر والعيون بالحور والحواجب بالبلج

والمباسم بالفلج والجفون بالسقم والأنوف بالشمم

والخدود باللهب والثغور بالشنب والبنان بالترف

والخصور بالهيف إنني ما قتلت ابنك سهوًا ولا عمدًا

ولا جعلت هامته لسيفي غمدًا وإلا فرماني الله بالعمش

بالعمش وخدي بالنمش وطرتي بالجلح وطلعتي بالبلح

بالبهار ومسلكي بالنجار وبدري بالمحاق وفضتي بالاحتراق

وشعاعي بالظلام ودواتي بالأقلام فقال إنما الم الاصطلا

بالبلية

بالمليّة ولا الأهليّة بهذه الأَلْيَة ولا الأعياء بالتقوى

بالمتخلّي به أحدُكما إلى الشيخ الآخر تبعه لدين التي أخّر

وأمقر لمحجر عنها ولم يزل التلاحي بينهما يستعر وجمرة

التراضي تعر والغلام في ضمن ذلك يخلب الوالي بتلوّنه

ويُطمِعُه في أن يلويه إلى أن ران هواه على قلبه وأ

لبّ به وسوّلت له الرجاء الذي يمّمه والطمع الذي توهّمه

أن يخلص الغلام ويستخلصه وأن ينقذه من حبالة الشيخ

ثم يقتنصه فقال للشيخ هل لك فيما هو أليق بالأقوى وأقرب

للتقوى فقال الشيخ إلامَ تشير لأقفيه ولا أقف لك فيه فقال

أرى لك أن تقصر عن القيل والقال وتقتصر منه على مائة مثقال

لأتحمّل منها بعضًا وأجتني الباقي لك عرضًا فقال الشيخ ما

خلا ... يوم ... تعزى محالة

وَيَدَّعِي عَلَيَّ وَيَمِينُهُ تَكْمِلَةُ خَمْسِينَ فَلَمَّا رَقَّ ثَوْبُ الأَصِيلِ

وَانْقَطَعَ لِأَجْلِهِ صَوْبُ التَّحْصِيلِ قَالَ لَهُ خَلِّ مَا رَاحَ وَدَعْ

عَنْكَ اللَّجَاجَ وَعَلَيَّ فِي غَدٍ أَنْ أَتَوَصَّلَ إِلَى أَنْ يَنُصَّ لَكَ البَا

وَيَحْصُلَ فَقَالَ الشَّيْخُ أَفْعَلُ ذَلِكَ عَلَى أَنْ أَكُونَ فِي ذِمَّتِهِ طُولَ لَيْلَتِي

وَيَرْعَاهُ إِنْسَانُ مُقْلَتِي حَتَّى إِذَا أُعْفِيَ بَعْدَ افْتِرَاقٍ ... قَالَ

بِمَا بَقِيَ مِنْ مَالِ الصُّلْحِ تَخَلَّصَتْ قَايِبَةٌ مِنْ قُوبٍ وَبَرِئَ

الذِّئْبُ مِنْ دَمِ ابْنِ يَعْقُوبَ فَقَالَ لَهُ الْوَالِي مَا أَرَاكَ سُمْتَ شَطَطًا

وَلَا رُمْتَ فُرُطًا قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَلَمَّا رَأَيْتُ حُجَجَ الشَّيْخِ بِالْحُجَجِ

السُّرَيْجِيَّةِ عَلِمْتُ أَنَّهُ عَلَمُ السَّرُوجِيَّةِ فَلَبِثْتُ إِلَى أَنْ

... جَنَّ الظَّلَامُ وَانْتَثَرَتْ عُقُودُ الزِّحَامِ ...

هراوة وقد لفع وجهه بردائه ونكر شخصه لدهائه

فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فاذكروا ايها الغافلون

وشمروا ايها المقصرون واحسنوا النظر ايها المتبصرون

ما لكم لا يحزنكم دفن الاتراب ولا يهولكم هول التراب

ولا تعبأون بنوازل الاحداث ولا تستعدون لنزول

الاجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا تعتبرون

بنعي يسمع ولا ترتاعون لالف يفقد ولا تلتاعون

لمناحة تعقد يشيع احدكم نعش الميت وقلبه

تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره في

استخلاص نصيبه ويخلي بين ودوده ودوده

ثم يخلو بمزماره وعوده وطالما ... ثم على السلام

البينة وتباعدتم التزام الأحبة واستأنستم لاعتراض العبرة

واستهنتم بانقراض الأسرة وضحكتم عند الدفن ولا

ضحككم ساعة الدفن وتبخترتم خلف الجنائز ولا

تبختر لكم يوم قبض الجوائز وأعرضتم عن تعديد

النوادب إلى إعداد المآدب وعن تحرق الثواكل

إلى إتقان المآكل لا تبالون بمن هو تالف ولا تخطرون

الموت ببال حتى كأنكم قد علقتم من الحمام بذمام

أو حصلتم من الزمان على أمان أو وثقتم

بسلامة الذات أو تحققتم مسالمة هادم اللذات

كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون ثم

أيا من يدعي الفهم   إلى كم يا أخا الوهم

تُعَبِّي الذَّنْبَ وَالذَّمَّ ... وَتُخْطِي الْخَطَأَ الْجَمَّ

أَمَا بَانَ لَكَ الْعَيْبُ ... أَمَا أَنْذَرَكَ الشَّيْبُ

وَمَا فِي نُصْحِهِ رَيْبٌ ... وَلَا سَمْعُكَ قَدْ صَمَّ

أَمَا نَادَى بِكَ الْمَوْتُ ... أَمَا أَسْمَعَكَ الصَّوْتُ

أَمَا تَخْشَى مِنَ الْفَوْتِ ... فَتَحْتَاطَ وَتَهْتَمَّ

فَكَمْ تَسْدُرُ فِي السَّهْوِ ... وَتَخْتَالُ مِنَ الزَّهْوِ

وَتَنْصَبُّ إِلَى اللَّهْوِ ... كَأَنَّ الْمَوْتَ مَا عَمَّ

وَحَتَّامَ تَجَافِيكَ ... وَإِبْطَاءُ تَلَافِيكَ

طِبَاعًا جُمِعَتْ فِيكَ ... عُيُوبًا شَمْلُهَا انْضَمَّ

إِذَا أَسْخَطْتَ مَوْلَاكَ ... فَمَا تَقْلَقُ مِنْ ذَاكَ

وَإِنْ أَخْفَقَ مَسْعَاكَ ... تَلَظَّيْتَ مِنَ الْهَمِّ

وإن

وَإِنْ لَاحَ لَكَ النَّقْشُ مِنَ الْأَصْفَرِ تَهْتَشُّ

وَإِنْ مَرَّ بِكَ النَّعْشُ تَغَامَمْتَ وَلَا غَمَّ

تُعَاصِي النَّاصِحَ الْبَرَّ وَتَعْتَاصُ وَتَزْوَرُّ

وَتَنْقَادُ لِمَنْ غَرَّ وَمَنْ مَانَ وَمَنْ نَمَّ

وَتَسْعَى فِي هَوَى النَّفْسِ وَتَحْتَالُ عَلَى الْفَلْسِ

وَتَنْسَى ظُلْمَةَ الرَّمْسِ وَلَا تَذْكُرُ مَا ثَمَّ

وَلَوْ لَاحَظَكَ الْحَظُّ لَمَا طَاحَ بِكَ اللَّحْظُ

وَلَا كُنْتَ إِذَا الْوَعْظُ جَلَا الْأَحْزَانَ تَغْتَمُّ

سَتُذْرِي الدَّمَ لَا الدَّمْعَ إِذَا عَايَنْتَ لَا جَمْعَ

يَقِي فِي عَرْصَةِ الْجَمْعِ وَلَا الْخَالَ وَلَا الْعَمَّ

كَأَنِّي بِكَ تَنْحَطُّ إِلَى اللَّحْدِ وَتَنْغَطُّ

الى الضيق من [illegible]

هنالك الجسم للدود — لياكله الدود

الى ان ينخر العود — ويمسي العظم قد رم

ومن بعد فلا بد — من العرض اذا اعتد

صراط جسره مد — على النار لمن ام

فكم من مرشد ضل — ومن ذي عزة ذل

وكم عالم زل — وقال الخطب قد طم

فبادر ايها الغمر — لما يحلو به المر

فقد كاد يهي العمر — وما اقلعت عن ذم

ولا تركن الى الدهر — وان لان وان سر

فتلفى كمن اغتر — بافعى تنفث السم

واخفض

وَهِيَ مَرْكَبُ الشَّرِّ وَحَتْفُ مَنْ لُجَّ بِهِ

بِذَا أَوْصَيْتُ يَا صَاحِ وَقَدْ بُحْتُ لِمَنْ بَاحَ

فَطُوبَى لِفَتًى رَاحَ بِآدَابِي يَأْتَمُّ

ثُمَّ حَسَرَ رُدْنَهُ عَنْ سَاعِدٍ شَدِيدِ الْأَسْرِ وَقَدْ شَدَّ

عَلَيْهِ جَبَائِرَ الْمَكْرِ لِلْكَسْرِ مُتَعَرِّضًا لِلِاسْتِمَاحَةِ فِي مَعْرِضِ

الْوَقَاحَةِ فَاخْتَلَبَ بِهِ أَلْبَابَ الْمَلَإِ حَتَّى أَتْرَعَ كُمَّهُ

وَسَاءَهُ ثُمَّ انْحَدَرَ مِنَ الرَّبْوَةِ جَذِلًا بِالْحَبْوَةِ قَالَ الرَّاوِي

فَجَاذَبْتُهُ مِنْ وَرَائِهِ حَاشِيَةَ رِدَائِهِ فَالْتَفَتَ إِلَيَّ

مُسْتَسْلِمًا وَوَاجَهَنِي مُسَلِّمًا فَإِذَا هُوَ شَيْخُنَا أَبُو زَيْدٍ

بِعَيْنِهِ وَمَيْنِهِ فَقُلْتُ لَهُ

إِلَى كَمْ يَا أَبَا زَيْدٍ ..... أَفَانِينُكَ فِي الْكَيْدِ

لك العبيد ولا تعبأ بمن ذم

فأجاب من غير إباءٍ وارتياءٍ وقال

تمتّع ودع اللوم وقل لي هل يرى اليوم

فتىً لا يقمر القوم متى ما دسته تمّ

فقلت له بعداً لك يا شيخ النار وزاملة العار فما

مثلك في طالع [illegible] بما ابنيك وحشته تميتك إلا

مثل روثٍ مفضّضٍ ولنيفٍ مبيّضٍ

تفرّقنا فانطلقت ذات اليمين وانطلق ذات الشمال

وناوحت مهبّ الجنوب وناوح مهبّ الشمال

حكى الحارث

بن همام قال نهضت عن العراق إلى الغوطة وأنا

ذو جُردٍ مربوطةٍ وجِدَةٍ مغبوطةٍ يلهيني جلو

الذرع ويزدهيني حفوف الضرع فلما بلغتها بعد

شق النفس وإنضاء العيس ألفيتها كما تصفها

الألسن وفيها ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين

فشكرت يد النوى وجريت طلقاً مع الهوى

وطفقت أفض بها ختوم الشهوات وأجتني

قطوف اللذات إلى أن شرع سفر في العراق

وقد استفقت من الإغراق فعادني عيد من تذكار

الوطن والحنين إلى العطن فقوضت خيام الغيبة

وأسرجت جواد الأوبة ولما تأهبت الرواحل واستتب

الاتفاق أنفنا من المسير دون استصحاب بخفير

من

منيته قربه واعملنا في تحصيله الحيلة فأعوزنا

وجدانه في الأحياء حتى يئسنا أنه ليس من الأحياء

فحارت لعوزه عزائم السيارة واحتشدوا بباب حيرته

للاستشارة فما زال الواهن عقد وحل وشد ورحل

إلى أن نفد التناجي وقنط الراجي وكان قد حل

ثم شيخ ميسمه ميسم الشبان ولبوسه لبوس

الرهبان وبيده سبحة النسوان وفي عينيه ترجمة

النشوان وقد قيد لحظه بالجمع وأرهف أذنه

لاستراق السمع فلما آن انكفاؤهم وقد برح لهم خفاؤهم

قال لهم يا قوم ليفرخ روعكم وليأمن سربكم فسأخفركم

بما يدرأ وأجيركم ويسطو عليهم قال الراوي فاستطلعنا

منه طلب الخفارة واستنا الكفالة على السفارة وزعم

انها كلمات لقنها في المنام ليحترس بها من كيد الانام

فجعل بعضنا يومض الى بعض ويقلب طرفه بين لحظ وغض

وتبين له انا استضعفنا الخبر واستشعرنا الخور فقال ما لكم

اتخذتم جدي عبثا وجعلتم تبري خبثا ولطالما

جبت مخاوف الاقطار وولجت مفاحم الاخطار

فغنيت بها عن مصاحبة خفير واستصحاب جفير ثم

اني سانفي ما رابكم واستسل الحذر الذي نابكم بان اوافقكم

في البداوة وارافقكم في السماوة فان صدق قولي وعدي

فاجددوا اسعدي واسعدوا جدي وان تكن الاخرى

فمزقوا اديمي واريقوا دمي قال الحارث بن همام فالهمنا

تصديق

تصديق رؤياه وتحقيق ما رواه فنزعنا عن مجادلته

واتهمنا على معاذلته ترك معاذلته وفصمنا

بقوله عرى الريائث والغينا إلغاء العابث ولما عكمت

الرحال وأزف الترحال استمليناه كلمات الراقية لنجعلها

الواقية الباقية فقال ليقرأ كل منكم أم القرآن كلما

أطل الملوان ثم ليقل بلسان خاضع وصوت خاشع

يا محيي الرفات ويا دافع الآفات ويا واقي المخافات

ويا كريم المكافات ويا موئل العفاة ويا ولي العفو و

المعافاة صل على خاتم أنبيائك ومبلغ أنبائك

وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح نصرته وأعذني من

نزغات الشياطين ونزوات السلاطين وإعنات

الباغين ومعانات الطاغين ومعادات الحاسدين

وعدوان المعادين وغلبة الغالبين وسلب

السالبين وحيل المحتالين وغيل المغتالين و

اجرني من جور الجائرين ومجاورة الجائر

وانفعني الف الصائمين واخرجني من ظلمات

الظالمين وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين

احفظني في تربتي وغربتي وغيبتي واقامتي

ونجعتي ورجعتي ووجهتي ووجاهتي

وتصرفي ومنصرفي وتقلبي ومنقلبي احفظني

في نفسي ونفائسي وعرضي ومرضي وعائدي

وعددي وسلكني ومسلكي وحولي وحالي وما

ومالي ولا تلحقني تعثر ولا تسلط على مغير واجعل لي من لدنك سلطانا نصيرا اللهم احرسني بعينك وعونك واخصصني بأمنك ومنك وتولني باختيارك وخيرك ولا تكلني إلى كلاءة غيرك وهب لي عافية غير عافية وارزقني رفاهية غير واهية واكفني مخاشي اللأواء واكنفني بغواشي الآلاء ولا تظفرني أظفار الأعداء إنك سميع الدعاء ثم أطرق لا يدير لحظا ولا يحير لفظا حتى قلنا قد أبلسته خشية أو خرسته غشية ثم أقنع رأسه وصعد أنفاسه وقال أقسم بالسماء ذات الأبراج والأرض ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج والهواء والعجاج إنها لمن أيمن

العوذ وأغنى عنكم من ابني الجود من درهما

عند ابتسام الفلق أمن شفق من خطب إلى الشفق

سردها طليعة الغسق أمن ليلته من السرق قال الراوي

فتلقناها حتى أتقناها وتدارسناها لئلا ننساها ثم سرنا

نزجي الحمولات بالدعوات لا بالحداة ونحمي الحمولات بالكلمات لا بالكماة

وصاحبنا يتعهدنا بالعشي والغداة ولا يستنجز منا

العدة حتى إذا عاينا أطلال عانة قال لنا الإعانة الإعانة فا

المغلوم والمكتوم وأريناه المعلوم والمختوم وقلنا له اقض

ما أنت قاض فما نجد فينا غير راض فما استخفه سوى العين

والحلي لعينه غير العين فاحتمل منهما وقره وأدبر يسد فقره

ثم خالسنا مخالسة الطرار وانصلت منا انصلات الفرار

وأوحشنا فراقه وأدهشنا إمراقه ولم نزل ننشده بكل ناد

ونبغي بعده كل مغنى وهاد إلى أن قيل إنه مذ دخل

عانة ما زايل الحانة فأغراني خبث هذا القول بسلكه

وإلباس الليل فيما لست من سلكه فادلجت إلى الدسكرة

في هيئة منكرة فإذا الشيخ في حلة ممصرة بين دنان

ومعصرة وحوله سقاة تبهر وشموع تزهر وآس وعبهر

ومزمار ومزهر وهو تارة يستبزل الدنان وطورا

يستنطق العيدان وتارة يستنشق الريحان وأخرى

يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه وتفاوت يومه من أمسه

فقلت له أولى لك يا ملعون أنسيت يوم جيرون فضحك

مستغربا ثم أنشد مطربا الزمت السفار وجبت القفار و

النفار لأجني الفرح وخضت السيول ورضت الخيول

لجر ذيول الصبي والمرح ومطت الوقار وبعت العقار

لحسو العقار ورشف القدح ولولا الطماح الى شرب راح

لما كان باح فمي بالملح ولا كان ساق دهائي الرفا

لأرض العراق بحمل الصبح فلا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن

فعذري وضح ولا تعجبن لشيخ ابن بمغنى أغن ودن طفح

فان المدام تقوي العظام وتشفي السقام وتنفي الترح

وصفى

وَصافٍ لِخَلِيلٍ وَنافِ البَخِيلِ وَافُولِ الجَمِيلِ وَالِ المِنَحِ

وَلُذْ بِالمَتابِ امامَ الذَّهابِ فَمَنْ دَقَّ بابَ الرَّحِيمِ فُتِحَ

فَقُلْتُ لَهُ بِحَقِّ رَبِّكَ وَافَ تُعْفَ لِغَوايَتِكَ فَبِاللهِ

مِنْ اَيِّ الاَعْياصِ عِيصُكَ فَقَالَ اعْضَلْتَنِي عَوِيصُكَ

فَقَالَ مَا اَحْسَبُنِي اَفْصَحُ عَنِّي وَلَكِنْ سَاَلْتَنِي اَنَا طُرْفَةُ

الزَّمانِ وَاُعْجُوبَةُ الاُمَمِ وَاَنا الحُوَّلُ الَّذِي اَحْتالُ

فِي العَرَبِ وَالعَجَمِ غَيْرَ اَنِّي ابْنُ حاجَةٍ هاضَهُ

الدَّهْرُ وَاهْتَضَمَ وَابُو صِبْيَةٍ بَدَوْا مِثْلَ لَحْمٍ عَلَى وَضَمٍ

وَاَخُو العَيْلَةِ لِلْعَقْلِ اِذا احْتالَ لَمْ يُلَمْ فَقالَ الرّاوِي فَعَرَفْتُ

الحَارِثُ

حين بان انه ابو زيد ذو التريب واللعب والمسود وجه الشيبة

عضلة العضل وان تخصاه من حبائل الحيل وساءني

عظم تمرده وقبح توررده فقلت له بلسان الانفة واذلال

المعرفة الم يان لك يا شيخنا ان تقلع عن الخنا فتنحر و

زمجر وتنكر وفكر ثم قال ايها الليلة مراح الانتراح وغير

مراح الالحاح فجعلنا ابدا الى ان نتلاقى غدا ففارقته مرتابا من

عزيمته لا تعلقا بعزيمته وبت ليلتي لابسا حداد الندم على

تخطي القادم الى ابنة الكرم لا ابن الكرم فعاهدت الله

سبحانه الا اتخطى بعدها حانة نباذ ولو اعطيت ملك بغداذ

ولا اشهد معصرة الشراب فلما ذرّ لي عصر الشباب ثم انا حللنا

العيس وقت التغليس وخلينا بين الشيخ ابي زيد وابليس

حكى الحارث ابن همام قال ندوت بضواحي

الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم مبار

ولا يجري معهم ممار فافضنا في حديث يفضح الازهار الى ان

نصفنا النهار فلما غاض در الافكار وصبت النفوس الى الاوكار

لمحنا عجوزا تقبل من البعد وتحضر احضار الجرد وقد استتلت

صبية تعدو انحف من المغازل واضعف من الجوازل

كذبت اذ رأتنا ان عرتنا حتى اذا ما حضرتنا قالت حيا الله

المعارف ولئن لم يكن معارف فاعلموا يا آمال الآمل وثمال الأرامل

امرأة من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل أهلي وبعلي

يحلّون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولو

اليد فلما أردى الدهر الأعضاد وفجع بالجوارح والأكباد وانقلب

ظهراً لبطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقد

الراحة وصلد الزند ووهت اليمين وبان المرافق ولم

يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبرّ العيش الأخضر وازورّ المحبوب

الأصفر واسودّ يومي الأبيض وابيضّ فودي الأسود حتى رثى

لي العدو الأزرق فحبذا الموت الأحمر وتلوي من ترون عينه

فوارة وترجمانه اصفر ذو شعبتين بغية احدهم ترديده وتزيد

وقصارى منيته بدره وأنتم البيتان لا يبذل الحر الا

للحر ولو انني مت من الضر وقد ناجتني القرونة بانه

عندكم المعونة وقد آذنتني فراسة الحوباء بانكم ينابيع

الحباء فنضر الله امرءا ابر قسمي وصدق توسمي ونظر

الي بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود قال فهمنا البراعة

عبارتها وملح استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف

الحامك فقالت تفجر الصخر ولا فخر فقلنا ان جعلتنا

من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لاريننكم اولا

اشعاره

شَوَانِيَ ثُمَّ لَانَ وَيَلْكُمْ أَشْعَارِي ۰ أَبْرَزْتُهُ دُونَ دِرْعٍ دَرِيسٍ

وَبَرَزَتْ عَجُوزٌ دَرْدَبِيسٌ ثُمَّ أَنْشَأَتْ تَقُولُ أَلَا تَأْكُلُوا اللهَ أَسْكَا

أَرَأَيْتَ صَرْفَ الزَّمَانِ الْمُتَعَدِّي الْبَئِيسِ يَا قَوْمِ إِنِّي مِنْ

أُنَاسٍ غَنَوْا دَهْرًا وَجَفْنُ الدَّهْرِ عَنْهُمْ غَضِيضٌ فَخَانَهُمْ

لَيْسَ لَهُمْ ذَنْبٌ وَصِيتُهُمْ بَيْنَ الْوَرَى مُسْتَفِيضٌ كَانُوا

إِذَا مَا جَمْعَةٌ أَعْوَزَتْ فِي لَيْلَةِ الشَّهْبَاءِ وَضَارَ بَيْض

تُشَبُّ لِلسَّارِينَ نِيرَانُهُمْ وَيُطْعِمُونَ الضَّيْفَ لَحْمًا غَرِيضْ

مَا بَاتَ جَارُهُمْ سَاغِبًا وَلَا رَوَّعَهُ حَالُ الْجَرِيضِ فَعَطَّتْ

مِنْهُمْ صُرُوفُ الرَّدَى بِحَارَ جُودٍ لَمْ تَخَلْهَا تَغِيضْ

وأودعتُ منهم بطونَ الثرى ... بأُسْدَ التحامي وأُساةَ المريض

فمحملي بعد اعتلاءِ الأسى ... وموطئي بعد اليفاعِ الحضيض

وأفرخي ما تأتلي تشتكي ... بؤساً له في كلّ يومٍ وميض

إذا دعا القانتُ في ليلِه ... مولاه نادوه بدمعٍ تفيض

يا رازقَ النعّابِ في عُشّه ... وجابرَ العظمِ الكسيرِ المهيض

أتِحْ لنا اللهمّ من عِرضُه ... من دنسِ الذمّ نقيٌّ رحيض

يُطفئُ نارَ الجوعِ عنّا ولو ... بمَذقةٍ من حازرٍ أو مخيض

فهل فتًى يكشفُ ما نابهم ... ويغنمُ الشكرَ الطويلَ العريض

فوالذي تعنو النواصي له ... يومَ وجوهُ الجمعِ سودٌ وبيض

لولا

له لاهم نم تبذله صفحته ، تمدنت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت ابياتها اعشار القلوب

واستخرجت خبايا الجيوب حتى ماحها من دينه الامتياح

وارتاح لرفدها من لم يخله يرتاح فلما افعوعم جيبها

تبرا واولها ثنا مستنيرا وتولت يتلوها الاصاغر وقوها

بالشكر فاشارت بجماعة تقدمتها الى سبرها التالي وامرع

برها فلفلت لهم باستنباط السر المرموز ونهضت اقفو

اثر العجوز حتى انتهت الى سوق مغتصة بالانام مختصة

بالزحام فانغمست في الغمار وامّلست من الصبية الاغمار

ثُمَّ عاجَ بعجلتهِ بالعوالي فما لبثَ بحسبِ نفثِ

النقابَ وأنا المعتامُ من عرضِ البابِ فأرقبُ ما ستبدي من العجابِ فلمّا

آنستُ أهبةَ الحربِ رأيتُ محيّا أبي زيدٍ قد سفرَ فهممتُ بأن أتجهّمَ عليهِ

وأعنّفهُ على ما أجرى إليهِ فاستفتحَ بإنشادِ المتمرّدينَ ثمّ رفعَ

عقيرةَ المغرّدينَ وأنشدَ   يا ليتَ شعري أدهري أحاطَ علما

وسائرٌ بأنّهُ غادٍ بخلعٍ أم لا   كم قد قمرتُ بنيهِ بحيلتي وبمكري

ولم برزتُ بعرفٍ عليهم وبنكرِ   أصطادُ قوماً بوعظٍ وآخرينَ بشعرِ

وأستفزُّ بخلٍّ عقلاً وعقلاً بخمرِ   وتارةً أنا صخرٌ وتارةً أختُ صخرِ

ولو سلكتُ سبيلاً مألوفةً طولَ عمري   لخابَ قدحي وقدحي ودامَ عسري

قال الحارث ... فقد

ابن همام لما طرزت

على حلية امره

وما ازخرفه

من غرر ... في

شعر عامة ...

تبطنة ...

... النقد

ولا التعلل

المقامة الرابعة عشرة وتعرف بالمكية حكى الحارث

بن همام قال نهضت من مدينة السلام لحجة الإسلام

فلما قضيت بعون الله التفث واستبحت الطيب

والرفث صادف موسم الخيف معمعان الصيف

فاستظللت للضرورة بما يقي حر الظهيرة فبينا

أنا تحت طراف مع رفقة ظراف وقد حمي وطيس

الحصباء وأعشى الهجير عين الحرباء إذ هجم علينا

شيخ متسعسع يتلوه فتى مترعرع فسلم الشيخ

تسليم أديب أريب وحاور محاورة قريب لا

غريب فأعجبنا بما نثر من سمطه وعجبنا من انبساطه

قبل بسطه فقلنا له ما أنت وكيف ولجت وما استأذنت

فقال اما انا فالمعافى وطالب اسعافه بسرحي عن جان

والنظر الى شفيع لجيكم واما الانساب الذي علق

به الارتياب فما هو بحجاب اذ ما على الكرماء من حجاب

فسألناه انى اهتدى الينا وبم استدل علينا فقال

ان للكرم نشرا تنم نفحاته وترشد الى روضه

نفحاته فاستدللت بأرج عرفكم على تبلج

عرفكم واستشرفت تضوع رندكم بحسن المنقلب

من عندكم فاستخبرناه حينئذ عن لبانة التكفل

باعانته فقال ان لي مآربا ولفتاي مطلبا فقلنا

له كلا المرامين سيقضى وكلاكما سوف يرضى

الكبر الكبر فقال اجل ومن دعا التبع الغبر

وقد اناخ الاعادي بها واخنوا عليها فوالذي سيرت ابو حط

الذنوب لديها ما رأت طرفي تبعث عن طرف مثلها

ثم اغرورقت عيناه بالدموع وآذنت مدامعه بالهموع

فكره ان يستوكفها ولم يملك ان يكفكفها فقطع

إنشاده المستحلى وأوجز في الوداع وولى

اخبر الحارث بن

همام قال أرقت ذات ليلة حالكة الجلباب هامية

الرباب ولا أرق صب طريد الباب ومني

بصد الأحباب فلم تزل الأفكار تهيج همي وتجول

في الوساوس وهمي حتى تمنيت لمضض ما

عانيت أن أرزق سميرا من الفضلاء ليقصر طول

ليلتي الليلاء فما انتهضت منيتي ولا أغمضت مقلتي

حتى قرع الباب قارع له صوت خاشع فقلت

في نفسي لعل غرس التمني قد أثمر وليل

الحظ قد أقمر فنهضت اليه عجلان وقلت

من الطارق

من الطارق الآن فقال غريب اجنّه الليل

وغشيه السيل ويبتغي الإيواء لا غير وإذا

أسحر قدم السير قال فلما دلّ شعاعه على

شمسه ونمّ عنوانه بسرّ طرسه علمت أن

سلمه غنم ومساهرته نعم ففتحت

الباب بابتسام وقلت ادخلوها بسلام فدخل

شخص قد حنى الدهر صعدته وبلّل

القطر بردته محيّيا بلسان عضب وبيان

عذب ثم شكر على تلبية صوته واعتذر

من الطروق في غير وقته فدانيته بالمصباح

المتقد وتأملته تأمل المنتقد فلقيته

أبا زيد بلا ريب ولا رجم غيب

فأحللته محلّ من أظفرت به يد الطلب

ونقلني من وقذ الكرب الى روح الطرب

ثم أخذ يشكو الأين وأخذت في كيف وأين

فقال

ألهمني ريقي فقد استعبدني تمر ذو حميّا

حميّا السغب متكاسلاً لِعِلّة الشبب فاحضرته

ما يحضر الضيف المفاجي في الليل الداجي

فانقبض انقباض المحتشم وأعرض إعراض

البشم فسؤت ظناً بامتناعه وأحفظني

حؤول طباعه حتى كدت أغلظ له في

والسعة بحدة الملام فتبين له من لمحات

ناظري ما خامر خاطري فقال يا ضعيف

الثقة بأهل الثقة عدّ عمّا أخطرته بالك

واستمع إليّ لا أبا لك فقلت هات يا أخا

الترّهات فقال اعلم أني بتّ البارحة

حليف إفلاس ونجيّ وسواس فلما قعد

الليل بحجبه وغوّر الصبح شهبه غدوت

وقت الإشراق إلى بعض الأسواق متصدياً

لصيد يسنح أو حريس فلمحت تمراً

قد جمع

وانجذبت تبعته الى ان جنحت الشمس للغروب
وضعفت النفس من اللغوب ونزحت بكية
جرى وانثنيت اقدم رجلا واوخر اخرى
وبينما اسعى واقعد واهب واركد اذ قابلني
يتاوه آهة الثكلان وعيناه تهملان فاشغلني
ما انا فيه من داء الريب وانحوى المنيب عن
تعاطي مداخلته والطمع في مخاتلته فقلت
يا هذا ان لبكائك لسرا ووراء تحرقك لشرا
فاطلعني على برحائك واتخذني من نصحائك
فانك ستجد مني طبا آسيا او عونا مواسيا
فقال والله ما تاوهي لعيش فات ولا من دهر
افتات بل لانقراض العلم ودروسه وافول
اقماره وشموسه فقلت واي حادثة نجمت
وقضية استعجمت حتى هاجت لك الاسف
على فقد من سلف فابرز رقعة من كمه

واقسم بابيه ولبنيه فقال انا اهان اعلام المدارس فما امتاز واه

من اعلام الدوارس واستنطق لها الحبار الحابر فخرسوا او ا

خرس سكان المقابر فقلت ابينها فلعلي اغني فيها فقال ما

انعقدت في الماء ام قربت رضية من غير ان تم ناولنيها فاذا الفتوى

67

فيها ايها العالم الفقيه الذي فاق ذكاء فما له من شبيه

افتنا في قضية حار عنها كل قاض وحار كل فقيه

رجل مات عن اخ مسلم حر تقي من امه وابيه

وله زوجة لها ايها الحبر اخ خالص بلا تمويه

فحوت فرضها وحاز اخوها ما تبقى بالارث دون اخيه

فاستغنا بالجواب عما سالته فهو من جلبة جد فيه

فلما قرأت شعرها ولمحت سترها قلت له على الخبير بها سقطت

وعند ابن بجدتها لحططت الا انى مضطرم الحشا مضطر

الى العشاء فالزم مثواى ثم اسمع فتواى فقال الغدا تصفحني

الاستراء وتجافيت عن الاشطاط فسر معى الى مربعى

لتظفر بما تبتغى وتنقلب كما ينبغى قال فصاحبته الى

دار كما حلم الله فادخلني بيتا الحرج من التابوت و

اوهن من بيت العنكبوت الا انه جبر ضيق ربعه

بتوسعة ذرعه فحكمنى فى القرى ومطايب ما يشترى فقلت

أبيدا من ألح على ما يمي من مرغوب وأنفع صاحب مع ضم

محو فبلس ساعة طويلة ثم قال لعلك تبغي بنت نخلة

مع لبابة نخيلة فقلت إياهما منيت ولأجلهما تعنيت

فنهض نشيطا ثم انبرى منتشطا وقال اعلم أصلحك الله

أن الصدق نباهة والكذب عاهة فلا تجعلنا نخدع

الذي هو شعار الأنبياء وحلية الأولياء على أن تلحق من

مان ويتخلق بالخلق الذي يجانب الإيمان فلتجوع

الحرة ولا تأكل بثدييها وتأبى الدنية ولو اضطرت إليها

ثم إني لست ذا لبون ولا أغضي على صفقة مغبون

وها أنا قد أنذرتك قبل أن يهتك الستر ويستعد

بيننا الوتر فلا تلم نفسك بعد الإنذار محذر من الكاذب بعد

فقلت له والذي حرم أكل الربو وأحل أكل التمر

والله ما فهت بزور ولا دلّستك بغرور وستخبر حقيقة

الأمر وتحمد بذل اللبا والتمر وهش هشاشة المصدق

وانطلق معه إلى السوق فما كان بأسرع من أن

أقبل وهو يمايله ووجهه من التعب يكلح فوضع

هما الذي وضع الممتن علي وقال الضرب لجنب بالهشر

تحظيلة العيش فحسرت عن ساعد النهم وحمل

فهو ابن ابنه بغير مراء ❊ والخو عرسه بلا تمرية

وابن الابن الصريح اخته لابيه ❊ فجدوا ولي بان بنوه اخيه

فلذا حين مات اوجب للجد ❊ ثمن التراث دون اخيه

وحوى ابن ابنه الذي هو في ❊ الاصل اخوها من امها باقيه

وتخلى الاخ الشقيق من ❊ الارث وقلنا بلغيه انه

هاك مني الفتيا التي يجتليها ❊ كل قاض يقضي وكل فقيه

قال فلما اثبت الجواب واستثبت مني الصواب قال لي اهلك

والليل وشمر الذيل وبادر السيل قلت اني بدار غربة وفي ايوائي

افضل قربة لا سيما وقد اغدف جنح الظلام وسح الرعد في

البيضاء فقلت له لحبب بلقائك المتاح الى قلب المرتاح ثم

اخذتني في حكاياته وشيم مضحكاته بمليّاته

الى ان عطس انف الصباح وهتف بي داعي الفلاح فتاهب

لاجابة الداعي ثم عطف الى وداعي فعقته عن الانبعاث

وقال الضيافة ثلاث فناشد وحرج ثم امّ الخرج وانشد

اذا ما زرت من تحب فقلّ غبّ يوم ولا تزده عليه

فاجتلاء الهلال في الشهر يوما ثم لا تنظر العيون اليه

قال الحارث بن همام فودعته بقلب كليم القرح ووددت لو ان

ليلتي بطيبة الصبح [illegible]

بن همام قال شهدت صلوة المغرب في بعض مساجد المغرب

فلما أديتها بفضلها وشفعتها بنفلها أخذ طرفي رفقة

قد انتبذوا ناحية وامتازوا صفوة صافية وهم يتعاطون

كاس المفاكهة ويقتدحون زناد المباحثة فرغبت

في مفاوضتهم لكلمة تستفاد أو أدب يستزاد فسعيت إليهم سعي

المتطفل عليهم وقلت لهم أتقبلون نزيلا يطلب جنى الأسمار

لا جنى الثمار ويبغي ملح الحوار لا ملح الحوار فحلوا لي الحبى وقالوا رحبا

مرحبا فلم أجلس إلا لمحة بارق أو نغبة طائر حتى

غشينا جواب على عاتقه جراب فحيانا بالكلمتين وحيا

المسهب بالتسليمتين ثم قال يا اولي الالباب وفضل الالباب اما تعلمون

ان انفس القربات تنفيس الكربات وامتن اسباب النجاة مواساة ذوي

الحاجات واني ومن احلني بساحتكم واتاح لي استماحتكم

لشريد محل قاص وبريد صبية خماص فهل في الجماعة من يشفي

عنا حميا المجاعة فقالوا له يا هذا انك حضرت بعد العشاء

لم يبق الا فضلات العشاء فان كنت بها قنوعا فما تجد منا منوعا

فقال ان اخا الشدائد ليقنع بلفظات الموائد ونفاضات المزاود

فامر كل منهم عبده ان يزوده بما عنده فاعجبه الصنع

وشكر عليه وجلس يرتقب ما يحمل اليه ونهضنا نحن

الى استثارة ملح الادب وعيونه واستنباط معينه

عيونه الى ان جلسنا فيما لا يتجاوز الانعكاس لقولك ساكب

كاس ثم تلاعبنا الى ان يستنبط الافكار ونفتح سدة الانجاب

على ان ينتظم البادي ثلث جمات في عقده ثم تدبج الزيادة

من بعده فيرتجل ذو ميمنته في نظمه ويتبع صاحب ميسرته

على عدده قال الراوي وكنا قد انتظمنا على اصابع الكف و

قال

الف الفة اصحاب الله هم فانبتذ لعظم محنتي صلب ميمنتي و

لم اخا مل وقال ما منه كبّر رجاء اجر ربك وقال الذي يليه

من يرب اذا برّ ينم وقال الاخر سكّت كل من نم لك

تلسو وافضت النوبة الي وقد تعين نظم السمط التساعي

فلم يزل الفري يصوغ ويلحم ويسدي وينير وفي ضمن ذلك

استطعم فلا اجد من يطعم الى ان ادى الشيخ مستحسن

التسليم فقلت لاصحابي لو حضر السروجي هذا المقام لشفى

الداء العقام فقالوا لو انزلت هذه باياس لامست منها

على ياس وجعلنا نفيض في استصعابها واستغلا

بابها وذلك الضيف المعتري لا يلحظنا لحظ المزدري

ويولف الدرر ونحن لا ندري فلما عثر على انتصاحنا

ونضوب ضحضاحنا قال يا قوم ان من العناء العظيم

فلما حيّى بالتسليم وجلّى الوجوه ضوء القمر بانه

صاحب منبذنا أبو زيدنا فقلت لأصحابي هذا الذي

أشرتُ إلى [illegible] منطق أصاب ومن استمطر صاب فألقوا

نحوه الأعناق وتحدّقوا به الحدّاق وسألوه أن يسامرهم

ليلته على أن يجبروا غيبته فقال حبًّا لما حبّبتم

ومرحبًا بكم إذا رحّبتم غير أنّي قصدتكم وأطفالي

يتضوّرون من الجوع ويدعون لي بوشك الرجوع

وإن استراثوني خامرهم الطيش ولم يصف لي ولهم

ال[illegible] فعوني لأدب ناشد مخمصة

ثم انقلب الناكم على اثره متاهبا للسير الى التسحر فقلت لاحد

الغلمة اتبعه الى فيئته فانطلق معه مضطبنا ليسبر وابده

ومحتثا اياه والانباء ابطأ يجلو نهجه ثم عاد الناكص

وحده فقلنا ما عندك من الحديث عن الخبيث

فقال الخذني في طرق متعبة وسبل متشعبة حتى

افضينا الى دويرة خربة قال ههنا مناخي ووكري

افر لخني ثم استفتح بابه واختلج مني جرابه وقال

لعمري لقد خففت عني واستوجبت الحسنى مني فهاك

نصيحة هي من نفائس النصائح بمعارض الوعظ وانشد

إذا ما حويت جنى نخلة فلا تقربنها إلى قابل

وإما سقطت على بيدر فحوصل من السنبل الحاصل

ولا تلبثن إذا ما لقطت فتنشب في لقة الحابل

ولا توغلن متى ما سبحت فإن السلامة في الساحل

وخاطب بهات وجاوب بسوف وبع آجلا منك بالعاجل

ولا تكثرن على صاحب فما مل قط سوى الواصل

ثم قال احفظنها في تامورك واقتد بها في أمورك

فبادر إلى صحبك في كلاءة ربك فإذا بلغتهم فأبلغهم

تحيتي ثم اتل عليهم وصيتي وقل لهم عني إن الشهر

في الحر آفات لمن اعظم الآفات ذلة الغني ابو ...

ولا الحلب الموس الى استعمال التساوي فلما وقفنا بمغوى

شعره على أثره وملره تلاوة ومناعله ترك له ولا اغتر

فلله ثم تفرقنا بوجوه باسرة وصفقة خاسرة للوى

المقامة السابعة عشرة القهقرية حدث الحرث بن همام قال حضرت

في بعض مطارح البين ومطامح العين فتية عليهم سيما

الحجى وطلاوة نجوم الدجى وهم في تماراة مشتدة

الهبوب ومباراة منشطة الالهوب فهزني القصد

مع الحاضرة والتحلي لمناظرة فلما انتظمت في سمطهم

وَانتظمتُ في سِمْطِهِم قالوا أنتَ ممّن

فقلتُ

يُبلي في الهيجاءِ ويُلقي دَلوَهُ في الدِّلاءِ

بل أنا من نَظّارةِ الحربِ لا من أبناءِ الطعنِ

والضربِ فأعرضوا عن مُحاجاتي وأنا

في التحاجي ثمانٍ في بحبوحةِ حَلْقتهم

والليل رفقتهم شيخٌ قد برتهُ الهمومُ ولوّحتهُ

السَّمومُ حتى عاد أنحلَ من قلمٍ وأقحلَ من

جَلَمٍ إلّا أنّهُ كان يُسدي العُجابَ إذا

أجابَ ويُنسي سَحبانَ كلّما أبانَ فأعجبتُ

بما أُوتي من الإصابةِ والتبريزِ على تلكَ

العصابةِ وما زال يُفصِحُ كلَّ مُعمّى ويُصمي

فِي مِضْمَارِ ... اِلَى اَنْ خَلَتِ الْجِعَابُ مِنْ نفاد

السُّؤَالِ وَالْجَوَابِ فَلَمَّا رَاَى اِنْفَاضَ الْقَوْمِ

وَاِضْطِرَامَ [illegible] الْمُطَارَحَةِ

وَاسْتَاْذَنَ فِي الْمُفَا[illegible]ـةِ فَقَالَ لَهُ [illegible] وَمَنْ

لَنَا بِذَا فَقَالَ اَتَعْرِفُونَ رِسَالَةً اَرْضُهَا سَمَاؤُهَا

وَصُبْحُهَا مَسَاؤُهَا نُسِجَتْ عَلَى مِنْوَالَيْنِ

وَتَجَلَّتْ فِي لَوْنَيْنِ وَصَلَّتْ اِلَى جِهَتَيْنِ وَبَدَتْ

ذَاتَ وَجْهَيْنِ اِنْ بَزَغَتْ مِنْ مَشْرِقِهَا

فَنَاهِيكَ بِرَوْنَقِهَا وَاِنْ طَلَعَتْ مِنْ مَغْرِبِهَا

فَيَا لَعَجَبِهَا قَالَ فَكَاَنَّ الْقَوْمَ قَدْ رُمُوا بِالتَّمَاثِيلِ

اَوْ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْاِنْصَاتِ فَمَا

وصلت به على [illegible] من الغرب

فيها حلواء القند والضرب فقال لا يستوي أصحاب

ولا يسع أن يجعل المبرئ كذي الظنة وهذه الآنية تنزل

منزلة الأبرار في صون الأسرار فلا تطولها الأبعاد والمحو

هؤلاء الأبعاد ثم أمر خادمه بنقلها إلى مثواه ليخلو

فيها بهواه فأقبل علينا أبو زيد وقال اقروا سورة الفتح

وابشروا بانديال القرح فقد جبر الله كسركم وسنى أمركم

وجمع في ظل الحلواء شملكم وعسى أن تكرهوا

وهو

يتبع من ترف الاله - لطائفا لا تحسب

قال فاسمعلنا ايات الغيو والينا الله تو الشكو

وفدتُّ له سمعي ولكن بنيّة [illegible] وقرن بره

تعرّ بالنص هذه المقامة من الفاظ لغوية وكنى طفيلية وكنايات

صوفية قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين

43

والسمهرية الرماح وفي تسميتها بذلك قولان احدهما انها سميت بها لصلابتها

من قولهم اسمهر الشيء اذا اشتد وقيل انها منسوبة الى سمهر زوج ردينة وكانا

جميعا يقومان الرماح فنسبت اليهما [illegible] ضرب الله على الآذان اي انا

منا ومنه قوله تعالى فضربنا على آذانهم في الكهف اي انمناهم وقيل في تفسيره

[illegible] غنام السمع [illegible] تكرعنا الصلاة العجماء اي اغسلنا اكارعنا وهو كناية

عن الوضوء والعجماء صلوة الظهر والعصر سميتا بذلك لاستسرار القراءة

فيهما ومنه الحديث صلوة النهار عجماء [illegible] هلمّ اي قل لهم هلم وهي

[illegible] والافصح ان توحد لفظها مع المذكر والمؤنث والاثنين والجمع

كنّا رفقةً لا يملّون في المناجاة ولا يدرون ما طعم

المداجاة فلما حثّ بهم كرّ لم يرم عن وجاره وأقلع

عن ألفه وجاره فلما أنخنا بها مطايا التسيار وانتقلنا

عن الأكوار إلى الأوكار تواصينا بتذكار الصحبة

وتناهينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا

نعتمره طرفي النهار ونتهادى فيه طرف الأخبار

فبينا نحن به في بعض الأيام ننتظم في سلك الالتئام

إذ وقف علينا ذو مقولٍ جريّ وجرسٍ جهوريّ

على مخفيه جرمته او قمط البصر ببرهان فطنته

ان قال يا ملامعا من يلامع البقاع ما هذا الارتياع

الذي يأباه الحياء حتى كأنكم تلقفتم مشقة الاشقياء

او توهمتم بلادة البرزة او هزئتم للشوه ابنيت لا

96

لتأهبن المنافق لمن انتدى صفاته ولا توشح

حصاته فلما ابصرت الجماعة بلاقته ومرارة

مذاقته رفاه كل منهم بنيله واحتمل طله خوف

سيره قال الحرث بن همام وكان هذا السائل واقفا

خلفي ومحتجبا بنظري عن طرف ما انضله

القوم بشيهم وحق على تأسي به لمن خلتي

من خنصري ولفت اليه بصري فاذا هو شيخنا

السروجي بلا فرية ولا مرية فايقنت انها الاحبولة

تلذ بها ولحبولة نصبها الا اني طويته على

غرة وصنت شفاه عن قرة عصبته بالخاتم وقلت

لو صلة لنفقة الماتم فقال واها فما اضرم شعلتك

والزم فعلتك ثم انطلق يسعى قدما فتر

هزولا

انكم ولا بر فتسوى لمفاخر [illegible] بى رايت و

ما ورثت ولا اثيت فقهقهوا [illegible] ن كبت وبكيت

ولعنوا ذاك الامين لما العادي بمعشر ونعرف

حدثنا الحارث بن همام قال عنيت مذ لحمت

تدبيري وعرفت قبيلي من دبيري بان اصغي

الى العظات والغي الحلم المحفظات لاتحلى بمحا

الاخلاق واتخلى مما يسم بالاخلاق وما زلت

آخذ نفسي بهذا الادب واخمد به جمرة الغضب